وأصبحت اليوم — هذه الأنظمة نفسها — مظهرا من مظاهر التقدم البشري لا لشيء الا لان اليهود يستخدمونها ضد العرب . ان ما كان نازيا لانه موجه ضد اليهود ، يصبح اليوم حضارة بمجرد تحوله الى اداة قمع في أيدي اليهود ذاتهم . في السابع من شباط ١٩٤٦ نددت نقابة المحامين اليهود في فلسطين بأنظمة الطوارىء هذه بقولها ان هذه الانظمة « تسلب المواطن الحقوق الأولية للانسان ، وتنتهك أسس القانون والقضاء وتشكل خطرا بالغا على حرية الفرد وحياته ، وتفرض حكم العسف والقسوة بدون رقابة قضائية » . وأكثر من ذلك : بعد انشاء اسرائيل تعرضت هذه الانظمة الى نقد عنيف عندما استخدمت ضد تنظيم ديني يهودي ، فاتخذت الكنيست قرارا في السادس من حزيران ١٩٥١ جاء فيه ان أنظمة الطوارىء « تتناقض مع أسس أية دولة ديموقراطية » وكلفت اللجنة القضائية باعداد مشروع ، خلال اسبوعين ، لالغاء هذه الانظمة . ولم تنته فترة الاسبوعين حتى الآن . وكفت هذه الانظمة النازية عن الاحتفاظ بصفاتها ما دامت موجهة ضد العرب !! ولقد عدّد كاتب اسرائيلي حسنات هذه الانظمة بقوله : « انها لا تبيح قتل انسان بدون محاكمة . وما عدا ذلك فانها تسمح بممارسة اي شيء ضده ، كل شيء بدون محاكمة » .

هذا هو الأساس القانوني للاضطهاد اللاحق بالمواطن العربي . وحين يكون الاضطهاد قانونيا ، فان شرعية الاضطهاد تكون أسوأ من الاضطهاد نفسه ، لانه لا يكون سلوك حاكم أو سلطة ، بل نهج مجتمع وعنصرا من عناصر تكوينه المتأصلة . وعلى أساس شرعية العنصرية هذه « حقق المجتمع العربي أكبر تطور في العالم » — كما يدعي الاسرائيليون .

●

وهل يكون هذا « التطور » الخرافي — وهو جزء من قضية الشعب العربي في اسرائيل — بديلا عن قضيته القومية كشعب ؟. وهل بوسع التقدم الاقتصادي النسبي أن يخلق مواطنا عربيا اسرائيليا بما يعنيه هذا المصطلح من اندماج في الكيان الصهيوني والتزام بقضاياه ومصيره ؟

يعترف شموئيل هوليدانو في حديث مع صحيفة « هآرتس » بأن مشكلة الهوية القومية الاجتماعية لعرب اسرائيل ودمجهم في مجتمع الدولة وحضارتها هي التي تشكل الآن جوهر مشاكل الاقلية العربية في اسرائيل . ويقول بنحاس سبير : « أريد أن أستنتج شيئا من تطور عرب إسرائيل ، هؤلاء الذين يعيشون معنا منذ ٢٥ سنة وهو : انه كلما ارتفع المستوى المعيشي والثقافي ازدادت المشاكل وتفاقمت . وانني أخشى الا يكون اولئك الذين يعتقدون ان رفع مستوى المعيشة هو تعويض عن المطامح القومية قد تعلموا درس التاريخ جيدا . اننا نعلم ، من خلال تجربتنا في اسرائيل ، أن مستوى المعيشة ، وفي الاساس مستوى الثقافة ، لا يعيق بصورة خاصة المطامح القومية » . وعبر عن الفكرة ذاتها طوليدانو بقوله : « ان التجربة مع عرب اسرائيل تفيد أن رفع مستوى المعيشة والثقافة ليس بديلا عن الرغبات والمطامح القومية » .

ولقد انشغلت الصحافة الاسرائيلية ، في الآونة الاخيرة ، بالاجتهاد في تحليل هوية العربي في اسرائيل وأعربت عن دهشتها لعجز التجربة الاسرائيلية عن خلق الهوية الجديدة التي تريدها لهذا العربي . ولاحظت أن حوالي ستين الفا من الشباب العرب ولدوا في اسرائيل ، يتكلمون اللغة العبرية بطلاقة ويعيشون على طريقة الحياة الاسرائيلية . ولكن الاسرائيليين ، في بحثهم المشكلة القومية لهؤلاء العرب ، يحصرونها في اطار خيبة الامل التي أصابتهم من الدولة الاسرائيلية ، وينسبونها الى الرفض اليهودي